# أساليب القراءة وصناعة الآراء

د. أمير تاج السر

كاتب وروائي سوداني

ذكرت من قبل أنني من المهتمين بمتابعة ما يكتبه القراء من حين لآخر في مواقعهم المختلفة، من مدونات شخصية أو مواقع أخرى اختصت بتوفير أغلفة الكتب مع نبذة عن الكتاب ومؤلفه أو نسخ إلكترونية منها، وتركت لأعضائها المسجلين حرية أن يتحدثوا عن تلك الكتب ويدلون بآرائهم فيها من دون وصاية أو رقيب.

ولعل هذه واحدة من أهم ميزات الإنترنت الكثيرة، أنها انتقلت بشؤون القراءة من مقاهي المثقفين الروتينية وغرفهم المغلقة الهامسة إلى فضاء أرحب، وثم أسهمت إلى حد ما في انتشار الكتب.

فالذي يقرأ تعليقًا إيجابيًا عن كتاب ما يسعى بالضرورة لمحاولة امتلاكه، وحتى الآراء السلبية مهما كانت عنيفة وقاسية، وفيها تجن أحيانًا على الكاتب وكتابه، أيضًا تسهم في الترويج لهذه السلعة، التي لم تعد من أولويات هذه المرحلة، بظهور وسائل جذب أخرى أشد إغواء من شراء كتاب، ومحاولة العثور على وقت لمجرد تصفحه، لا قراءته كاملاً.

وأيضًا يشكل سعر الكتاب الورقي معضلة كبيرة، في الوقت الذي تكالبت فيه الأعباء على الناس، وأرهقت دخولهم اليسيرة.

متابعتي لتلك المواقع لا تأتي من كوني كاتبًا يبحث عن رأي في كتابته، ولكن بصفتي قارئًا له تذوقه وآراؤه هو الآخر، فحين أقرأ كتابًا ما ويعجبني أو لا يعجبني، أبحث عن آراء الآخرين فيه، ومن ثم أحدد موقعي في رقعة القراءة العريضة.

لقد استطعت في متابعتي تلك، أن أخرج بعدة نقاط، خاصة من قراءتي للتعليقات التي كتبت عن مؤلفات واسعة الانتشار، ولمؤلفين بعضهم فرض اسمه وبصمته الواضحة، وبعضهم ما زال يحاول، لكن حظًا ما أو اجتهادًا مبكرًا أوقف كتابه على قدمين راسختين في سكة القراءة، وشد الكثيرين إلى التعليق عليه بهذه الكثافة.

وإذا اعترفنا بأن القراءة وحب الكتاب مزاج في الآخر، لا يجب أن نحزن على رواية رائعة مكتوبة بإخلاص شديد، ولغة أخاذة، لم تنل حظا وافرًا من التعليق، وإن علق عليها البعض، كتبوا كلامًا بعيدًا عن عالمها، ذلك بيسر أن المزاج العام لم يتذوقها، وربما يتذوقها مزاج آخر بعيد، إن ترجمت إلى لغة أخرى غير لغتها التي كتبت بها. وفي الجانب الآخر تحظى رواية عادية، كتبت بلغة عادية بكثير من المدح، لأنها دخلت أمزجة الكثيرين، وأصبحت سلعة رائجة.

لقد تحدث أدونيس مرة عما أسماه "الذائقة المستقرة" أي الذائقة التي انحصرت في نوع مألوف من الكتابة، وأصبح من الصعب تجاوزه إلى غير المألوف أو المستحدث، وربما يمر زمن طويل قبل أن يصبح ذلك المستحدث، مستقرا في التذوق هو الآخر، ويحظى بالالتفات إليه ساعتها.

كذلك ارتبط التعليق -خاصة الإيجابي- في أحيان كثيرة بجنسية الكاتب، هنا القراء يشجعون كاتبا من أرضهم، بالالتفاف حول كتابه، خاصة إن كان الكتاب مرشحا لجائزة ما، تماما مثلما يشجعون فريقا لكرة القدم، إن فاز فقد فازت بلادهم. وإن خسر فقد خسرت تلك البلاد.

وإذا ألقينا نظرة سريعة على الرواية، لأنها الجنس الأكثر سطوة في هذه الأيام، ويطمح الكثيرون من الشعراء وكتاب القصة القصيرة الراسخين، وحتى المؤرخين وغيرهم لكتابتها، ويتابعها القراء بشكل وافر، ناسين فنونهم وإبداعاتهم التي تخصصوا فيها، نجد أنها تشعبت كثيرا وارتدت أساليب كثيرة من ناحية العوالم وطريقة السرد، وإمكان تزيينها ببهارات عديدة من المخيلة، أو كتابتها من واقع أصبح في بعض حالاته يفوق المخيلة تأججا.

هناك روايات تأخذ من التاريخ بوثائقه المعروفة، وترصد حياة شخصيات كانت مساهمة بشكل أو بآخر، في رفعة مجتمع ما أو انحطاطه، مثل رواية "المخطوط القرمزي" للأسباني العظيم: أنطونيو غالا، و"الجنرال في متاهته" لغارسيا ماركيز، حين رصدت شخصية الكاتبة سيمون دي بوليفار.

روايات كتبت التاريخ بلا وثائق، أي تخيل كتابها التاريخ بناء على معطيات قليلة عن حياة سابقة، ومجتمع قديم، واعتمدوا على الخيال في كتابتها، ومنها رواية "قلم النجار" القصيرة البديعة، للكاتب الأسباني مانويل ريفاس، والتي رصد فيها الحرب الأهلية الأسبانية، بكل شرورها وتداعياتها، لكن بشخصيات مخترعة، وحوادث لم تحدث إلا في نصه فقط، وقد ذكرت مرة أنها الرواية التي كنت أتمنى لو كتبتها.

روايات أخرى أخذت من الحياة المعاصرة كل شيء. أخذت الحلو والمر والناعم والخشن، والمحزن والمضحك من مجتمعات كتابها، ورصدته بخيال محسوب لا يتوه القارئ كثيرًا في متاهاته.

القارئ إذن -وبالمزاج الذي ذكرته- ليس بالضرورة متذوقًا لكل هذه الأساليب مهما عظمت، ومهما اجتهد كتابها في السرد. هناك من يتذوق الرواية التاريخية ويكتب تعليقًا مطولاً عن عشقه لرواية من هذا النوع، وتجد هذا القارئ نفسه، يسخر من رواية معاصرة ربما تكون للكاتب نفسه الذي أحب روايته التاريخية، والعكس هنا صحيح، حين يحب أحدهم رواية معاصرة، ويبدو غير مقتنع برواية التاريخ، مبديا وجهة نظر مغايرة، لوجهة النظر العامة.

بالنسبة للكتابة في الأشياء التي كانت خطوطًا حمراء في الماضي، وتحول بعضها إلى خطوط خضراء من كثرة ما طرقت في الكتابة تختلف الآراء بشدة هنا، فليس كل من يكتب في الجنس مثلاً، يكتب بنزاهة وضرورة ملحة، وليس كل من يقرأ أعمالاً زخرفت بهذا الموضوع سواء إن كان عن ضرورة، أو مجرد حشو قصد به زيادة حجم القراءة، يستطيع أن يقتنع بما قرأ، خاصة إن كانت ثمة عبارات خادشة للذوق العام، ترد صريحة، وبلا غطاء في النص.

وأظنني من النوع الذي لا يرضى عن مثل تلك النصوص كثيرًا، ولا أجد ثمة ضرورة ملحة لكتابة ألفاظ، لا يستطيع الكاتب نفسه أن يطلقها علانية في بيته، وقد ذكر أحدهم تعليقًا على رواية مكتوبة بهذا النسق، إنه قرأها بعيدًا عن بيته، حتى لا يقرأها أحد من داخل البيت. على أن هذا الأسلوب وبكل ما فيه، يعجب قراء أيضًا، ويوجد من يعلق عليه بإيجابية كثيرة.

إذن أخلص إلى أن القراءة هي أيضًا مثل الكتابة، أساليب شتى لكتابة النص وأساليب شتى لقراءته أو الاستمتاع به، ولكن وسط كل هذا تجد آراء غريبة جدًا من البعض، آراء عن كتب لم يقرؤوها حقيقة، وإنما سمعوا بها، وقاموا بكتابة تعليقات مستوحاة من تعليقات لآخرين. وأيضًا هناك من يترك رواية كاملة ممتلئة زخمًا، ويعلق بسلبية عن جزئية صغيرة فيها.

﴿من أهم ميزات الإنترنت الكثيرة، أنها انتقلت بشؤون القراءة من مقاهي المثقفين الروتينية وغرفهم المغلقة الهامسة إلى فضاء أرحب، ومن ثم أسهمت إلى حد ما في انتشار الكتب﴾

﴿ارتبط التعليق -خاصة الإيجابي- في أحيان كثيرة بجنسية الكاتب، هنا القراء يشجعون كاتبا من أرضهم، بالالتفاف حول كتابه، خاصة إن كان الكتاب مرشحا لجائزة ما﴾

﴿القراءة هي أيضًا مثل الكتابة، أساليب شتى لكتابة النص وأساليب شتى لقراءته أو الاستمتاع به﴾

# الذكاء والعبقرية

د. وليد فتيحي

**اختلف حوله علماء النفس والفلاسفة منذ أقدم الأزمان، هل هو متوارث فطري أم هو مكتسب بيئي؟ هل هو إلهام؟ هل يولد به الإنسان أم أنه ثمرة العمل والجد والإتقان والإحسان؟..**

اختلف علماء النفس منذ القدم فيما إذا كان النبوغ والعبقرية في الإنسان موهبة أم أنها أمرٌ يمكن اكتسابه، وقد كانوا يظنون سابقًا أن الذكاءَ الحاد والعبقري يأتي بسبب جينات وراثية خاصة من نوعها، وأن العوامل النفسية والتربوية والبيئية والجهود التي يبذلها الإنسان لتطوير ذاته هي عوامل محدودة الأثر ولا يرون أن الأداء العبقري في أي مجال من المجالات يمكن اكتسابه لأي شخص يرغب بذلك.

ولكن العلم الحديث والأبحاث والدراسات بدأت تُظهر لنا عدم صحة هذه النظريات، وأن كل شخص يمكنه تحقيق الأداء العبقري في المجال الذي يحب ويريد إذا عمل بما يكفي لتحقيق ذلك.

قبل أن نتحدثَ عن العبقرية التي تعرّف بأنها تمتع المرء بقدر من الذكاء عال يساعده على تحقيق منجزات باهرة في مجالات لم تستكشف من قبل، لا بد لنا أن نعرِّف الذكاء.. فما هو الذكاء؟

لا يوجد حتى الآن تعريف محدد متفق عليه للذكاء، فالذكاء بمفهومه العام يختلف من موقع لآخر، ومن بيئة لأخرى.. من المدرسة إلى العمل إلى الشارع إلى مجالات الحياة الأخرى. مما حدا إلى تطوير نظرية الذكاءات المتعددة، والتي تُعدُّ من أهم النظريات السيكلوجية والتربوية المعاصرة التي جاءت كرد فعل تصحيحي للنظرة القديمة السائدة القائلة بأحادية الذكاء والمعرّف بالذكاء الرياضي والمنطقي.

مؤسس نظرية الذكاءات المتعددة هو البروفيسور هاورد جاردنير (Howard E. Gardner) عالم النفس الأمريكي وأستاذ الإدراك والتعليم بجامعة هارفارد الذي أعاد النظر جذريًا فيما يتعلق بالذكاء وآثاره على التعلم والتعليم، وقدم نظريته الجديدة التي تقوم على أساس تميُّز الفرد عن غيره، وأن كل إنسان يتميز بذكاء خاصٍ به.

فالذكاءات متعددة ومتنوعة ومستقلة لدى المتعلم ويمكن صقلها وشحذها وتنميتها وتقويمها عن طريق التشجيع والتحفيز والتعليم والتدريب لتنمية المواهب وتحقيق العبقريات.

وبذلك فهي تؤمن بعبقرية المتعلم وقدرته على الابتكار والإبداع إذا روعي نوع الذكاء الذي يتميز به وتم التركيز عليه والاستثمار فيه.

ومن أنواع الذكاء، الذكاء اللغوي، وهو القدرة على استعمال اللغة المكتوبة الشفهية في الكتابة والنثر والشعر والخطابة مثل المتنبي والمنفلوطي ومصطفي صادق الرافعي وشكسبير وغيرهم كثير بمختلف اللغات وعلى امتداد الأعراق.

وهناك الذكاء الرياضي المنطقي كعلماء الرياضيات والمهندسين والفيزيائيين والباحثين مثل ألبرت أينشتاين والخوارزمي الذي أسس علم الجبر.

وهناك الذكاء الفراغي أو التصويري أو البصري وهو القدرة على تصور الأشكال والأشياء في الفراغ كالجراحين والرسامين والمهندسين.

وهناك الذكاء الشخصي الذي يفهم الإنسان من خلاله قدراته ويعرف جيدًا نقاط الضعف والقوة لديه، ويكون مستقلاً في تفكيره، وله إرادة قوية وينظم حياته بشكل ناجح وفعال، مثل المفكرين والمصلحين الاجتماعيين.

وهناك الذكاء الجسدي الحركي، مثل القدرة على التحكم بنشاط الجسم وحركاته بشكل بديع، وهي المهارة التي يمتلكها الرياضيون.

وهناك الذكاء الاجتماعي وهو القدرة التي يمتلكها الفرد في التواصل مع الآخرين، وفهم نياتهم ودوافعهم ورغباتهم، مثل السياسيين الذين يحظون بشعبية واسعة، والقياديين أصحاب الجاذبية الخاصة والكاريزما.

وهناك الذكاء الموسيقي، ومثال عليه أبو الفرج الأصفهاني مؤلف كتاب الأغاني في عصر هارون الرشيد، وأمثال بيتهوفين وموزارت. وهناك الذكاء الطبيعي والقدرة على التعامل مع الطبيعة من حيوان ونبات وتمييزها وتصنيفها واستعمالها كالمزارعين والصيادين والجيولوجيين.

وهناك الذكاء العملي اليدوي الميكانيكي الذي يتميز فيه الشخص بقدرته على التعامل مع الأجهزة والمعدات والآلات، ويُكتشف مبكرًا في مرحلة الطفولة، حيث يقوم الطفل بتفكيك اللعبة ثم إعادة بنائها.

واستحدثت أنواع جديدة من الذكاءات مثل الذكاء العاطفي وهو ما تحدث عنه د. دانيل جولمن (Daniel Jay Goleman) وهو القدرة على حث النفس وتحفيزها وتنظيم الحالة النفسية ومنع الأسى والألم من شل قدرة التفكير والقدرة على فهم الآخرين والتعاطف والشعور بالأمل.

وهناك الذكاء الروحي، وهؤلاء وجوههم عليها صفاء وروحانية من نوع خاص، تشعر بارتياح بالنظر إليهم، أمثال الكثير من القادة والزعماء الروحانيين وعلماء الدين، الذين لهم تأثير قوي على أتباعهم، ليس بلاغة وحديثًا أو قدرة على الحوار، إنما ما تشع به أرواحهم من نور وحب وطاقة إيجابية خيّرة.

وهناك الذكاء الحدسي (الحاسة السادسة)، فبعض الأشخاص لديهم قدرة خاصة على التوقع والتنبؤ بشكل لا يمكن تفسيره وإخضاعه للمنطق.

ولكن كيف يتحول هذا الذكاء إلى ذكاء عال وإلى عبقرية؟

إن أفضل نظرية تفسر حدوث العبقرية هي نظرية الدكتور أندروز أريكسون عالم النفس بجامعة فلوريدا الأمريكية، فبناء على الدراسات والأبحاث التي قام بها د. أريكسون على مدى عشر سنوات، فقد أكد أن أي فرد يمكن أن يصبح عبقريًا إن شاء ذلك، فالعباقرة يطورون عادة ذاكرة قوية لتخزين المعلومات ذات الأهمية لهم بطريقة فعالة في الذاكرة طويلة المدى، بحيث يمكن للذاكرة قصيرة المدى الاستفادة منها عند الحاجة.

ويؤكد أريكسون أن هذا النشاط غير العادي للذاكرة هو ما يميز المتفوقين النابغين في كل مجال، وهو نشاط يمكن تطويره واكتسابه.

وقد قام د. ناتالي زوريو مازوير عالمة الدماغ بجامعة كان بفرنسا بتحديد مناطق الدماغ التي تفعّل عند عبقري رياضيات اسمه رود يجيرجام، الذي يستطيع حساب أي رقم أقل من مائة بعد ضربه في نفسه تسع مرات، وتم استخدم جهاز دماغ متخصص (PET Scan) وقارنته بأناس عاديين يقومون بنفس النشاط العقلي في أثناء الحساب، فوجدت أن الجميع يستخدمون اثنتي عشرة منطقة مشتركة في الدماغ في أثناء الحساب، ولكن جام استخدم خمس مناطق إضافية، ثلاث منها أكدت البحوث العلمية أنها مرتبطة بالذاكرة طويلة المدى.

وبذلك بينت الدراسة أن جام يتميز بحفظ الطرق والنتائج والمعادلات الرياضية في ذاكرته طويلة المدى ليستخدمها بسرعة عند الحاجة. بل لم يولد جام بهذه القدرة الاستثنائية، بل كان شخصًا عاديًا، ولكنه بدأ في العشرين من عمره بتخصيص أربع ساعات يوميًا للتدريب على العمليات الحسابية.

ويؤكد د. أريكسون في نظريته بأن العبقرية يمكن أن تطور، فقد قام بتجربة قبل عشرين عاماً على مجموعة من الأشخاص في مختبره، وعمل على تطوير قدراتهم في مجال حفظ الأرقام العشوائية. والمتعارف عليه أن الشخص العادي يستطيع عادة حفظ سبعة أرقام عشوائية متتالية وترديدها، ولكن أريكسون استطاع زيادة هذه القدرة بعد عام من التدريب إلى ثمانين إلى مائة رقم متوالية.

دراسة أخرى قام بها عالم نفس مجري اسمه لازلو بولجار (Laszlo polgar) الذي ألّف كتابًا عنوانه "تربية عبقري" (Bring up Genius) عن كيفية تربية العباقرة وأراد تحدي النظرية التقليدية في تعريف العبقرية، فقد قام هو وزوجته بتدريب بناته الثلاث على لعب الشطرنج حتى أصبحن كلهن من أفضل عشر أبطال العالم في الشطرنج وإحداهن أصغر من يحصل على اللقب العالمي (Grandmaster) في تاريخ الشطرنج، مثبتًا أن التدريب وحده يمكن أن ينتج عباقرة في مجال معين.

ولكن هل كل طفل يتلقى نفس التربية يمكن أن يصبح عبقريًا. بينت الدراسات أن الطفل يحتاج عاملاً رئيسيًا وهو الرغبة الجامحة في التفوق، وهو شعور قد ينمو لدى الطفل في أثناء الساعات المكثفة التي يبذلها للتدريب في موضوع معين.

إذاً الأهم هو القدرة على المثابرة والصبر والعمل.. موهبة القدرة على العمل والإنجاز، وهذه تشكل بالبيئة والظروف والتربية التي يتعرض لها الطفل في صغره. وهذا متوافق مع ما قاله العالم والمخترع الشهير توماس أديسون أحد أعظم عباقرة العصر الحديث في وصفه للعبقرية بأنها 1 % إلهام و99 % جهد مضن، حتى موزارت Mozart لم يكن ليصل إلى ما وصل إليه لولا التدريب المتواصل والجهد الكبير والعمل المضني والمثابرة والجد منذ نعومة أظفاره.

وهذا متوافق كذلك مع ما أكد عليه مالكوم جلادويل Malcolm Gladwell في كتابه أوت لايرز Outliers من أن أي شخص يمكن أن يصبح مبدعًا وعبقريًا إذا اختار تخصصًا يحبه ووضع عشرة آلاف ساعة من التدريب عليه، وأسماها قاعدة العشرة آلاف ساعة. وبذلك فالقاعدة تؤكد أن أي إنسان إذا استطاع أن يحدد أي نوع من الذكاء يمتلك.. الموهبة والملكة التي يمتلكها وكرس عشرة آلاف ساعة في التدريب، فإن علامات العبقرية والنبوغ والإبداع ستظهر عليه لا محالة.

في عام 1999م قام العالم وليام ديكنز William Dickens من معهد بروكنجز Brookings Institution في واشنطن بوضع نظرية وجدت إجماعًا شبه كامل بين علماء اليوم. تقول النظرية إن من كانت لديه صفة جينية متوارثة تعطيه أفضلية في مجال معين، فإنه سيبدع إذا سمح له بالاستمرار في ذلك المجال.

إن الشرط الأساسي لتحقيق العبقرية هو فهم الذات والإمكانات الفطرية التي يمتلكها كل إنسان وأي نوع من الذكاء يتميز به عن غيره.

إن الحكمة التي طالما جعلها الفيلسوف سقراط شعارًا له (اعرف نفسك) وقوله (ما نحن إلا ما نفعله مرارًا وتكرارًا)، فالإعاقة الحقيقية للإبداع والعبقرية هي إعاقة فكرية نفسية، هي الجهل بقدرات الإنسان وملكاته الطبيعية والتقاعس عن الاستثمار في تلك الملكات والمواهب الفطرية.

لقد وصف الرسول الكريم صلى اللّه عليه وسلم الفاروق عمر بالعبقري، فقال (لم أر عبقريًا من الناس يفري فريه) أي لم أر سيدًا يعمل ويقطع عملاً بإجادة كما يفعل عمر. لقد كان سر عبقرية عمر أنه رجل عمل يسبقه نظر وتقدير. لم يكن رجل تنظير بل رجل تقدير وتخطيط وتنفيذ. عمل وجهد ومثابرة وإصرار وتحد، والأخذ بالأسباب عبادة للّه الخالق الوهاب، فرارًا من قدر اللّه إلى قدر اللّه، فكان العبقري عمر رضي اللّه عنه وأرضاه.

لقد تعودنا في المدارس أن نعطي تقديرًا مرتفعًا للطالب المتميز في قدراته اللغوية والحسابية، وبذلك حددنا من يستحق التفوق والأولوية، لكن أين ذهبت بقية الملكات والقدرات الذكائية؟ قتلناها فهي خارج النطاق، نطاق الاهتمام والرعاية المدرسية، خاصة في مجتمعاتنا التي ترى الطاعة والخضوع والاستسلام قيم تربوية، فيخضع أبناؤنا لرؤيتنا ويتفوقون فيما نريده لهم بصرف النظر عن قدراتهم وملكاتهم وما يحبون. ودون هذا الحب لما يدرسون ويتعلمون ويفعلون يصعب عليهم أن يستثمروا الساعات الطوال من التدريب، كما تشترط قاعدة العشرة آلاف ساعة فلا يبدعون، ويقعون في الفخ الداخلي وهو التركيز على نقاط الضعف لإصلاحها وتجاهل نقاط القوة والاستثمار فيها.

لقد شاء اللّه أن يخلق الناس متنوعين وأن يخلق داخل كل نفس قدرات مختلفة، وهذا يعطي الحياة ثراءً ونموًا وتفاعلاً وتكاملاً قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

ولذلك جعل اللّه أوجه الذكاء متعددة، ويسر لكل إنسان بما أودعه من ملكات، فالإبداع مشروط بمعرفة الإنسان نفسه (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، ومعرفة ملكاته وإمكاناته ومواهبه التي حباها اللّه إياه وتكريس الوقت الكافي لصقل هذه المواهب الفطرية وتحويلها إلى عبقريات. إنها كما وصفها أينشتين (كل إنسان عبقري، ولكننا إذا حكمنا على السمكة بقدرتها على تسلق الأشجار، فإنها ستعيش طوال عمرها وهي تعتقد أنها غبية).. فكلٌ ميسرٌ لما خُلِقَ لهُ.

لمشاهدة فيديو الذكاء والعبقرية إضغط هنا

أو

من هنا